المدرسة الإيكولوجية الاجتماعية(مدرسة شيكاغو)

يعرف **فوس** و **بترسون** Vossand et Peterson في كتابهم "**الايكولوجيا الاجتماعية**" الايكولوجيا هي دراسة العلاقة بين الكائنات الحية و بيئتها".

تعد الايكولوجيا من المساهمات الرئيسية لمدرسة شيكاغو في علم الاجتماع خاصة في مجال الجريمة والانحراف، حيث انها تنظر إل ثنائية **الحي – المجتمع** بمنظور عضوي وخاصة عل يد العالم "روبرت بارك" Robert Park عندما كان يحث طلابه على الذهاب إلى قاع المدينة، والتي كانوا يعتبرونها مختبر علم الاجتماع، ولقد ساد هذا المنظور في العشرينيات والثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، فكانت المدينة في نظرهم ليست مجرد ظاهرة جغرافية بل كنسق أو كنوع من الكائنات الاجتماعية، والتي كانت حسبهم تتألف من مناطق طبيعية، تتميز كل منطقة بخصائص معينة تختلف عن غيرها من حيث الخلفية الاثنية أو التجارية، إذ يقترب هذا المفهوم من مفهوم دوركايم عن التضامن.

ونقصد بالاثنية أو العرقية فئة من الافراد يتشابهون وينتمون إلى مجموعات محددة كالسلف، اللغة المجتمع، الثقافة، كما يمكن تقسيم الاثنية الكبيرة إلى مجموعات فرعية أصغر وتعرف بالقبائل أو العشيرة.

طور كل من **بارك** و **برجس** Park et Burgess ما يسمى **بنموذج المدينة المركزي** للمدينة والذي يضم خمسة مناطق مستخدمين في ذلك مفاهيم: **السيطرة** و**الغزو** و**الاحلال**، وهي مفاهيم مستعارة من الايكولوجيا الحيوانية والنباتية، ونعني بالإحلال أن شيء جديد يحل محل شيء قديم مثاله نظام جديد يحل محل نظام قديم، ومن خلال النظرية نعني به احلال مجتمع مكان مجتمع اخر، والمناطق الخمسة هي كالآتي:

المنطقة الاولى: وهي منطقة التجارة، تتميز بقلة السكان وسيطرة المؤسسات التجارية والخدمات الرخيصة، والفنادق المتواضعة، تليها والمجاورة لها المنطقة الثانية.

المنطقة الثانية: منطقة التحول وفيها تبدأ المصانع وغيرها في غزوها والسيطرة عليها شيئا فشيئا، وبالتالي وان كانت رخيصة إلا أن السكان لا يفضلون الإقامة بها، إلا الفقراء منهم وخاصة المهاجرين الذين عادة يعملون في المصانع القريبة لها، وعندما تتحسن احوالهم وظروفهم الاقتصادية والمعيشية سوف يغادرونها إلى المنطقة الثالثة.

المنطقة الثالثة: وهي منطقة سكن للعمال، وهي ايضا منطقة السكان الآتيين من منطقة التحول أي المنطقة الثانية علما أنه سوف يحل محلهم القديم عمال ومهاجرون جدد.

المنطقة الرابعة: هي الاغلى ولا يتحمل الاقامة بها إلا الاثرياء.

المنطقة الخامسة: وتسمى الضواحي، وهي المنطقة التي يقيم فيها الاشخاص الاثرياء ثراء فاحش.

رأى **برجس** أن كل المدن تتوسع حسب هذا النموذج.

رسم كلا الباحثين صورة مصطنعة ومتغيرة للمدينة، فالعلاقات الاجتماعية متغيرة، فالناس يجهلون بعضهم وهويتهم مجهولة، فعلاقاتهم غير مستقرة ومتحولة وروابطهم ضعيفة، وهذا الضعف في العلاقات الاجتماعية يؤدي إلى التفكك الاجتماعي، وهكذا يصبح التفكك الاجتماعي مسؤولا عن الجريمة والانحراف الاجتماعي.

لقد بنى الباحثان" **شو** و **مكاي**"Show et Mckay على من سبقهم من علماء مدرسة شيكاغو وخاصة **بارك** و**برجس** في دراسة انحراف الاحداث في مدينة **شيكاغو**، ومن أجل القيام بذلك اعتمدوا على الأرقام الرسمية للأحداث المنحرفين الصادرة من الدوائر الرسمية، مفترضين أن هناك علاقة وثيقة بين البيئة الاجتماعية والانحراف، واستخدموا سنة 1942 ثلاثة أنماط من الخرائط بحيث وضعوا معدلات انحراف الأحداث الذكور في شيكاغو بين الأعوام 1900-1933، ثم خرائط النقاط بحيث وضعوا عليها نسب

الأحداث ذوي السجلات لكل من 431 منطقة احصائية، ثم خرائط المناطق للمناطق الخمس التي تحدثنا عنها سابقا.

وقبل الحديث عن تلك التفسيرات العلمية لابد من التذكير أن **شو** و **مكاي** افترضوا أن العلاقات الاجتماعية الجيدة والصداقات بين الناس في الأحياء تعمل كضوابط اجتماعية ضد الجريمة والانحراف وبالتالي يسود التنظيم الاجتماعي، أما اذا وجد العكس وفقد الناس الشعور بالولاء للمنطقة فإن التفكك الاجتماعي هو الذي سوف يسود، وبالتالي تظهر المشاكل الاجتماعية كالجريمة وانحراف الاحداث.

يرى **روبرت سامبسون وبايرون جروفز** (sampson et Groves, 1989) أن هناك أربع مكونات رئيسية للتفكك الاجتماعي وهي:

1_ المكانة الاقتصادية المتدنية.

2_ الجماعات العرقية المختلفة.

3_ الحراك الاجتماعي المرتفع للمنطقة سواء المغادرون منها أو القادمون إليها.

4_ البيوت المفككة والعائلات المضطربة.

وبناء على ما سبق يمكن القول أن التفكك الاجتماعي هو تفسير لمعدلات الجريمة وانحراف الاحداث.

لقد استطاع **شو** و **مكاي** فحص العلاقة بين عدد من المتغيرات المرتبطة بالمجتمع المحلي وانحراف الاحداث، ووجدوا أن هناك مجموعة من الخصائص المميزة للمناطق مرتفعة الانحراف ومن هذه الصفات:

_ ارتفاع نسبة المولودين خارج البلاد ووجود السيدات السود على رأس أسرهن (بدون ذكور).
_ ارتفاع نسبة العائلات المعتمدة على المعونات.
_ انخفاض معدل المالكين لبيوتهم، وانخفاض معدلات الاجور للمساكن.
_ ارتفاع معدلات الهروب من المدارس.
_ ارتفاع وفيات الأطفال.
_ ارتفاع معدلات الإصابة بالسل والاضطرابات العقلية.
_ ارتفاع معدلات المجرمين البالغين.

إضافة إلى ما سبق حاول **شو** و **مكاي** معرفة ودراسة ظاهرة انحراف الاحداث عبر الزمن على الرغم من التغيرات السكانية فقد وجدوا ثباتا واستقرار لمعدلات الانحراف، وهكذا توصلوا إلى نتيجة مفادها ان سبب الانحراف والجريمة هي المنطقة التجارية الاولى وكذلك الثانية، فهما المنطقتين الاكثر تحولا وتعرضا للقيم الجديدة وبالتالي حدوث الصراع الاجتماعي، كما رأوا أن التفكك الاجتماعي يتمحور حول ثلاثة متغيرات وهي الفقر، والحراك الاجتماعي واللاتجانس العرقي.

الفقر والحراك السكاني واللاتجانس العرقي ينتج عنه التفكك الاجتماعي الذي هو سبب لوقوع الجريمة والانحراف.

نقد النظرية:

1_ الاعتماد على الاحصائيات الرسمية، والتي هي موضع شك دائما من قبل الباحثين.
2_ لم يؤمنوا بأهمية الاصلاح والتأهيل للأحداث المنحرفين.
3_ لم يحاولوا تفسير كافة الجرائم وبالذات جرائم الطبقات الوسطى والعليا، وبالتالي فتفسيراتهم للجريمة والانحراف كانت تفسيرات عرقية وعنصرية.

نظرية التفكك الاجتماعي

تعتمد هذه النظرية في تفسيرها للجريمة والانحراف على حالة التفكك الاجتماعي التي تعيشها المجتمعات كنتيجة للتغيرات والتحولات التي تحدث في أبنية المجتمع.

جوهر النظرية يتمثل في كون أن السلوك الاجرامي والانحرافي ما هو إلا نتيجة الاضطراب الذي يصيب البناء الاجتماعي والذي يصاحبه قصور في الاداء الوظيفي.

يعرف **ميشال مان** التفكك الاجتماعي" بأنه مصطلح يشير إلى جملة من الاضطرابات التي تصيب النمط والنظام التقليدي بالمجتمع، وهي مقترنة بالتغير الاجتماعي، ومن جهة أخرى تؤثر في الضبط الاجتماعي "

يعد العالم الاجتماعي **ثورستن سيلسن** من رواد نظرية التفكك الاجتماعي وقد استوحى نظريته من واقع المجتمع الأمريكي الذي عاصره ومن واقع المجتمعات التي عاصرها ولم يعايشها، وقارنها بالمجتمعات المتحضرة، مما شجعه على إجراء مقارنات عددية كانت نتائجها ارتفاع في حجم الحرية في المجتمعات المتحضرة وانخفاضها في المجتمعات الريفية، ولهذا أرجع الجريمة إلى التفكك الاجتماعي.

حيث يحدث التفكك في المجتمعات نتيجة لضعف الروابط الاجتماعية أو انهيارها ويرى **سيلين** أن المجتمعات الريفية مازالت محتفظة بتقاليدها وقيمها، أين يسودها الترابط والتعاون بين الأفراد في علاقاتهم، وأما المجتمعات المتحضرة تفتقد إلى هذه الروابط والانسجام، وتطغى الفردانية والأنانية في العلاقات بين الأفراد، وهي السمة الغالبة عل هذه المجتمعات.

ولذلك يقرر **سيلين** أن عملية التفكك الاجتماعي المتمثل في تصارع المصالح والقيم الذي يرجع إلى انعدام الترابط والتناسق والانسجام بين أفراد المجتمع هو العامل الحقيقي وراء ازدياد حجم الظاهرة الاجرامية في المجتمعات الحديثة والمتقدمة حضاريا.

كما أن ضعف العلاقات التي تربط بين الأفراد، وفشل مؤسسات المجتمع في تعزيز علاقتها ببعضها البعض يؤدي إلى انتشار النزعة الفردانية في التعاملات وطغيان المصالح الشخصية على حساب مصالح الجماعة، وهذا راجع للتغير الذي شهدته المجتمعات فكلما زادت المجتمعات تقدما وتحضرا كلما كانت المداعاة لنشأة الجريمة والانحراف، وهذا ما يفسر ازدياد حجم الجريمة وتعدد انماطها، فغياب التكافل الاجتماعي بين الأفراد يزيد من فرص وقوع الجريم.

من رواد النظرية ايضا نذكر **سذرلاند** E.Sutherland ، برجس Burges ، و شو Show ، حيث

_ يرى **شو** أن المناطق المتخلفة بالمدن تعد مراكز لتفريخ الجريمة لأنها مناطق تمتاز بالتفكك الاجتماعي، بحيث لا يخضع المجتمع للضغوط الملزمة اجتماعيا، فتضعف الرقابة عن أعضائه.

_ أما **برجس** يرى أن التفكك الاجتماعي يتمخض عن تغيرات سكانية، أي الظروف السكنية سيئة أدت إلى ارتفاع الجريمة.

_ في حين **سذرلاند** يعتقد أن المجتمع يتكون من جماعات أولية(فرعية) تتميز بتباين المعايير والقيم فيما بينها، وهذا يعد تفكك اجتماعي، ومن الطبيعي أن يتمخض عنه سلوكيات منحرفة.

هناك قواسم مشتركة بين نظرية التفكك الاجتماعي والنظرية اللامعيارية (الانوميا) فكلاهما يفترض أن الاستقرار والتكامل في النظام الاجتماعي يفضي إلى امتثال الافراد، وأما الاضطراب والتصدع وفقدان التكامل في النظام يؤدي إلى الجريمة والانحراف.
تفترض كلا النظريتين أنه كلما قل وجود التضامن والتلاحم أو التكامل داخل الجماعة، كلما ارتفعت احتمالية وقوع الفرد في الجريمة والانحراف.